

نظرية النبوة عند الفارابي

للدكتور ابراهيم بيومي مذكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٧ —

تمددت المدارس وتنوعت الفرق في العالم الاسلامي ، فن متكلمين إلى متصوفة ، ومن شيعيين إلى سنيين ، ونحت كل شعبة من هؤلاء طوائف شتى وأحزاب متفرقة . بيد أن هذه المدارس المتنوعة والفرق المتعددة تلتقى في نقط مشتركة ويقوم الخلاف بينها على بعض المبادئ العامة . وقد استطاعت التعاليم الفلسفية أن تنفذ إليها جميعاً ، ولكن بدرجات متفاوتة . ففي حين أن الشيعة ، وخاصة الاسماعيلية ، يتقبلون بقبول حسن كثيراً من الآراء الفلسفية ، ترى أهل السنة يقفون من هذه الآراء موقف الحذر والحيطه ؛ وعلى هذا النحو يمكننا أن نلاحظ أن المعتزلة يدنون في أغلب أبحاثهم من الفلاسفة ، في حين أن الأشاعرة يمارضونهم ويناقضونهم . وقد سبق لنا أن بينا مقدار تأثير فلاسفة الاسلام بنظرية النبوة الفارابية ، وزيد اليوم أن نبين إلى أي مدى استطاعت هذه النظرية أن تؤثر في المدارس الاسلامية الرئيسية ، وكيف استقبلت من معارضها وعبيديها . ولا نظفنا في حاجة إلى أن نبين موقف الصوفية منها ، فهي بما فيها من تصوف كفيلة بأن تنال حظوتهم ، وهي فوق هذا تضع أساساً علمياً لأرائهم ونظرياتهم . وسننقص حديثنا على المعتزلة والأشاعرة من علماء الكلام ، والاسماعيلية والباطنية من الشيعيين

فأما المعتزلة فقد دالت دولتهم تقريباً وانقضت سلطنتهم قبل أن تظهر نظرية النبوة الفارابية في ثوبها الواضح وشكلها الكامل . غير أن نظرية كهذه تتسلام مع زعمهم العقلية وروحهم الفلسفية ، ولا نظهم ، لو أدركوها ، كانوا يجارونها ويقابلونها بالرفض والمعارضة الصريحة ، ذلك لأن أكبر مأخذ يؤخذ عليها ، كما أسلفنا ، أنها تتعارض مع بعض النصوص الثابتة الواضحة ، ولكن المعتزلة وقد فتحوا باب التأويل على

مصراعيه لن يمدنوا الحيلة في التوفيق بين هذه النصوص وبين فكرة نشرح النبوة شرحاً عقلياً فلسفياً . وأما الأشاعرة فقد نصبوا أنفسهم للدفاع عن التعاليم الاسلامية الماثورة ، وجدوا في تفهمها كما وردت . حقاً إنهم يقولون بالتأويل ، ولكنهم لا يتوسمون فيه توسع المعتزلة

ونظرية الفارابي في النبوة تناقض في رأيهم مناقضة صريحة طرق الوحي المسلم به في الكتاب والسنة . ومما يؤسف له أن أبا الحسن الأشعري وهو من معاصري الفارابي لم يخلف لنا شيئاً يمتد به في هذا الصدد . إلا أن النزالي وهو أكبر نصير للأشاعرة على الاطلاق ، وفي النصف الأخير من القرن الخامس الهجري بوجه خاص ، لم يغفل نظرية الفارابي في النبوة ، وتحامل عليها كما تحامل على الآراء الفلسفية الأخرى ، ولكنه في تحامله هذا لم يستطع أن يرد عليها رداً مقنعاً أو ينقضها بشكل واضح . على أنه هو نفسه بالرغم من خصومته لها وتحامله عليها لم ينج من أثرها ، وقال بأراء تقترب منها كل القرب ؛ وخصومة الأفكار تختلف إلى حد ما عن خصومة الأشخاص ، فقد تستطيع التبرؤ من كل ما يتصل بخصمك المادي مع أنه يمز عليك أحياناً أن تنجو تماماً من سلطان فكرة تعارضها ، ذلك لأن النظريات والآراء بما فيها من قدر من الصواب يمكنها أن تؤثر في أسدقائها وأعدائها ، بل وفي أشد الناس هجوماً عليها ؛ ولا أدل على هذا مما نلاحظ في مسألتنا الحاضرة ، فإن النزالي يناقض في كتابه «تهافت الفلاسفة» نظرية النبوة الفارابية ملاحظاً أن النبي يستطيع الاتصال بالله مباشرة أو بواسطة ملك من الملائكة دون حاجة إلى العقل الفعال أو قوة متخيلة خاصة أو أي فرض آخر من الفروض التي يفترضها الفلاسفة^(١) ، ثم يورد في كتابه «المنقذ من الضلال» فيقرر أن النبوة أمر مسلم به نقلاً ومقبول عقلاً ؛ ويكفي لتسليمها من الناحية العقلية أن نلاحظ أنها تشبه ظاهرة نفسية نعترف بها جميعاً ، ألا وهي الأحلام والرؤى . وهاكم عبارته بنصها : « وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه أن أعطاهم أعوذجاً من خاصية النبوة وهو النوم ، إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب إما صريحاً وإما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير^(٢) » .

(١) النزالي . تهافت الفلاسفة ، ص ٢٢

(٢) النزالي ، المنقذ من الضلال ، ص ٢٣

وقد قدمنا أن الفارابي يصرح بأن الامام والنبى والفيلسوف يرمون إلى غاية واحدة ويستمدون تعاليمهم من مصدر مشترك ألا وهو العقل الفعال^(١). وإذا كان بعض الاسماعيليين قد أخذ على عاتقه أن يرد على منكرى النبوة فهو في الوقت نفسه يدفع شهياً يمكن أن توجه إلى الأمامة. فنظرية النبوة الفارابية أساس علمي متين بنى عليه الاسماعيليون كثيراً من تعاليمهم. ولم يزيدوا عليها شيئاً إلا أنهم تأولوا بعض النصوص التي سككت عنها الفارابي فقالوا مثلاً إن جبريل هو العقل الذى يفيض على الأنبياء بالمعلومات، وإن القرآن تعبير عن المعارف التي فاضت على النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المصدر^(٢).

الآن وقد لخصنا في اختصار أثر نظرية النبوة الفارابية في القرون الوسطى الاسلامية، يجدر بنا أن نولى وجهتها شطر القرون الوسطى اليهودية والنصرانية لتبين ما إذا كانت هذه النظرية قد تمكنت من النفوذ إليها أم لا. وستكتفى من بين مفكرى اليهود بموسى بن ميمون الذى يمان في صراحة تلمذته للفارابي وابن سينا^(٣). وسنشير بين المسيحيين إلى (أبيرجراند) فقط الذى كثيراً ما ردد اسم الفارابي في مؤلفاته اللاتينية^(٤). فأما ابن ميمون فلا نظن أن واحداً من رجال الفلسفة المدرسية - اللهم إلا ابن سينا - قد استمسك بنظرية النبوة الفارابية وعنى بها مثل عنايته، فقد وقف عليها في الجزء الثانى من كتابه «دلالة الحائرين» نحو مائة صفحة أو يزيد، وبذل جهده في التوفيق بينها وبين الديانة الموسوية^(٥) وترجع الآراء المتعلقة بالنبوة في نظره إلى ثلاثة أقسام. فطائفة ترى أن النبي مجرد شخص اصطفاه الله من بين خلقه وكلفه مهمة خاصة سواء أكان عالماً أم جاهلاً صغيراً أم كبيراً، فلا يشترط فيه أى شرط ما دام الله قد اختاره، اللهم إلا أن يكون حسن السلوك سامى الأخلاق؛ ويرى المشاؤون - ويعنى بهم ابن ميمون فيما نعتقد الفارابي وابن سينا - أن النبوة تستلزم كمالاً في الطبيعة الانسانية وسمواً في المواهب المعنوية والاستعدادات الفطرية، فليس لكل شخص إذن أن يكون

ونحن في غنى عن أن نشير إلى أن هذه العبارة تحمل في ثناياها أفكاراً فارابية واضحة وبصرف النظر عما في موقف النزالي من تناقض فإن اعتراضه على نظرية الفارابي في النبوة لم يكن شديداً ولا قاطعاً. ولهذا لم يتردد في أن يمتنعها في مكان آخر محاولاً، كما صنع الفارابي، إدعائها على أساس من الفيض والاشراق. ولعل هذا هو الرأى الأخير الذى اطمانت إليه نفسه، ولا سيما. والدلائل قاعة على أن النقد متأخر تأليفاً عن التهانث، ويشتمل على خلاصة أبحاث النزالي ونتيجة دراساته السابقة

وإذا كانت نظرية النبوة الفارابية قد استطاعت التأثير في خصوصها من الأشاعرة فهي على هذا أقدر لدى من ينتمون إليها من الاسماعيليين والباطنيين. وإنما لنا حظ منذ أخريات اقرن الرابع الهجرى أن إخوان الصفا الذين لم يبق اليوم شك في أمر اتصالهم بالاسماعيليين يشيدون بذكر قوة الخيلة وبيدنون ما لها من أثر في الظاهر النفسية المختلفة، وخاصة في النامات والأحلام والوحى والالهام^(١). وبلخص لنا النزالي في رده على الباطنية معتقدهم في النبوات قائلاً إنهم يذهبون إلى «أن النبي عبارة عن شخص فاض عليه من السابق بواسطة المثالي قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنتفض عند الاتصال بالنفس السكلية بما فيها من الجزئيات كما قد يفتق ذلك لبعض النفوس الذكية في المنام حتى تشاهد من مجارى الأحوال في المستقبل إما صريحاً بعينه أو مدرجاً تحت مثال يناسبه مناسبة ما فيفتقر فيه إلى التعبير إلا أن النبي هو المستعد لذلك في اليقظة، فذلك يدرك الكليات العقلية عند شروق ذلك النور وصفاء القوة النبوية، كما ينطبع مشال المحسوسات في القوة الباصرة من العين عند شروق نور الشمس على سطوح الأجسام الصقيلة»^(٢). ويضيف النزالي أن هذه الآراء كلها مأخوذة عن الفلاسفة، وهذه ملاحظة لا تقبل الشك ولا الإنكار^(٣) وقد تأثر الاسماعيليين بالأفكار الفلسفية في غير موضع، إلا أن نظرية النبوة على الخصوص راقهم إلى حد كبير وصادفت هوى في نفوسهم. فانها لا توضح النبوة فحسب، بل تشرح فكرة الأمامة التي قامت عليها دعوتهم،

(١) الرسالة عدد ١٧٧، ص ١٩١٥

(٢) النزالي، فضائح الباطنية، ص ٩

(٣) اسراييل ولفسون، موسى بن ميمون، ص ٦٤

(٤) Madkour, La place d' al Fārābī, p. 2.

(٥) Marmonide, Guide, t. II, . 259 - 294.

(١) إخوان الصفا، رسائل، ج ٣ ص ٣٨٥ - ٣٩١، ج ٤

١٥٩ - ١٦٥

(٢) النزالي، فضائح الباطنية ص ٩

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠

في الأرواب المقارن

أشكال الأدب في الأديبين العربي والانجليزي للأستاذ فخري أبو السعود

تبدأ العلوم والفنون الانسانية كلاً مختلطاً كالسديم ، فاذا ما ارتقت وتطورت تبينت أجزاؤها وانفصلت ، ووضحت أشكالها وتميزت ، وتمددت مناحي كل علم وفن ، وتوفر بعض ممارسي تلك العلوم أو الفنون على ناحية من نواحي العلم أو فرع من فروع الفن وتوفر غيرهم على غيرها ، كل يتبع ما هو أقرب الى طبعه وأوفق لمبقرته وأتمّ تمييزاً عن منازعه ؛ وكلا ارتقى العلم أو الفن جدت فيه ضروب وأشكال لم تكن من قبل ، وتولدت من الأشكال القديمة أخرى غيرها

وذلك شأن الأدب : يبدأ بانفصال الشعر عن الموسيقى ، فاذا هو ألحان وأهازيج ساذجة المعاني ؛ ثم ما يزال جانب المعنى منه يقوى حتى يطنى على جانب النغم ، حتى يبلغ الشعر أشده وما تزال الأمة متبدية ؛ فاذا ما نالت حظاً من الحضارة والثقافة ظهر النثر بجانب النظم ، حاوياً لكثير من مميزات الشعر الفنية ؛ كالتعبير عن الوجدان وحسن اختيار الألفاظ المعبرة ، فاذا ما استمر الأدب في رقيه تمددت أشكال النظم والنثر واختلفت صورها ، واجتذبت كل شكل فريقاً من الأدباء يصطفونه دون غيره أو بجانب غيره ، لاجراج أفكارهم وأحاسيسهم في قلبه ، وإبراز نظرهم الى الحياة في أوضاعه وحدوده

فتعدّد أشكال الأدب من دلائل رقيه وابتعاده عن عهود الابتداء وعصور الابهام والمعموم ، وهو أيضاً من دلائل سريان روح التجديد فيه : فن طبيعة النفس الانسانية أن تسأم النعمة الواحدة إذا كررت ، مهما كانت عذوبتها أو براعة صاحبها ، وتستوى في ذلك الموسيقى وغيرها من الفنون ، فاذا ما سئم جيل شكلاً من أشكال الأدب ، أو أصبح ذلك الشكل الأدبي غير ملاءم لمصره ، فإن روح التجديد — إذا كانت هناك — تدفعه

نبياً ، بل من اكتملت فيهم صفات نفسية وعقلية معينة . والرأى الأخير الذى ينحاز إليه الفيلسوف اليهودى هو أن النبي إنسان كامل من الناحية العقلية قد فضله الله واصطفاه على عباده الآخرين^(١) . ولا بدله من تخيلة قوية تمكنه من الاتصال بالعقل الفعال وتقفه على الأمور المنقلة كأنما هي أشياء محسوسة ملموسة^(٢) . وعلى قدر ما تعظم الخيلة ويزيد اتصالها بالعالم العلوى تسمو الالهامات النبوية وتنوع ، ومن هنا تفاوت الأنبياء فيما بينهم بتفاوت تخيلاتهم ، واختلف ما يوحى إليهم تبعاً لذلك^(٣) .

قوة الخيلة إذن ذات أثر كبير في الكشف والالهام وشرط أساسى في كل من رقى إلى مرتبة النبوة^(٤) . بيد أنه يجب أن يضم الذى إلى تخيلته قوى عقلية عظيمة ، لأن الخيلة لا تستطيع أن تصمد إلى درجة العقل الفعال إن لم يكن في معاونتها قوى فكرية ممتازة^(٥) . هذه الملاحظات على اختصارها تكفى للبرهنة على أن ابن ميمون اعتنق في إخلاص نظرية الفارابى في النبوة

وأما ألبير لجراند فقد أترت فيه الآراء الفارابية عامة من نواح كثيرة . فهو يقول بنظرية في السعادة لا تختلف كثيراً عما ذهب إليه الفارابى ، ويقرر أن الانسان متى وصل إلى مرتبة العقل المستفاد أصبح على اتصال دائم بالعالم الروحانى ، وأنحى إلى حد ما شبيهاً بالله . ووقف على المعارف المختلفة ، وقاز ببساطة لا نظير لها^(٦) . ويحلل من جهة أخرى نظرية النبوة تحليلاً سيكولوجياً يتفق اتفاقاً تاماً مع ما جاء به الفارابى^(٧) . كل هذا يثبت ، كما لاحظ رينان من قبل ، إلى أى حد نفذت اللغة العربية والنظريات الاسلامية الخطيرة إلى المدرسة الأليبرية^(٨) . وسهل علينا أن نحدد على وجه التقريب المصدر الذى استقى منه ألبير نظرية النبوة الفارابية ، فانه لا يبعد أن يكون قد قرأ عنها شيئاً فيما ترجم من كتب ابن سينا إلى اللاتينية ، أو في كتاب دلالة الحائرين الذى أحرز منزلة عظيمة في مختلف المدارس المسيحية (ينبع)

(١) Ibid., p. 298.

(٢) Ibid., p. 333 et suiv.

(٣) Ibid., p. 333

(٤) Ibid., p. 232.

(٥) Ibid., p. 313

(٦) Reuan, Averroès, 235

(٧) Ibid

(٨) Ipi